

جهد العلماء في علم المبهمات

د. فاطمة مصطفى محمد داؤود

جامعة طيبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون قال سبحانه وتعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (سورة التوبة الآية 33) مؤيداً بالقرآن العظيم ، الذي لا يأتيه الباطل ﴿سبحان الله العظيم الذي جعل محمد من بين يديه ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، علم القرآن وجعله معجزة خاتم أنبيائه باقية ما بقى الزمان ، لقد اهتم العلماء بالقرآن واعتنوا عناية بالغة من جميع جوانبه ولذلك رأينا من خلال البحث من العلماء من اعتنى بألفاظه وبيان معانيه وأحكامه ، ومنهم من اعتنى بمعرفة ناسخه ومنسوخه ، وخاصة وعامه، ومنهم من اعتنى بأسباب نزوله ، المكية والمدنية، ومنهم من اعتنى بذكر بلاغته وإعجازه، والكشف عن مبهمات، وإلى غير ذلك من المجالات والجوانب المختلفة.

أهداف الدراسة :

- 1- تسليط الضوء على مصادر مهمة من علم المبهمات .
- 2- الوقوف على أسباب الإبهام في القرآن الكريم.
- 3- الوقوف على بعض المبهمات من الآيات التي وردت في القرآن الكريم.

أهمية الموضوع:

- 1- علم المبهمات من علوم القرآن الكريم وتأتي أهميتها من حيث تعلقها بكتاب الله عزّ وجلّ.
- 2- مفهوم علم المبهمات من علوم القرآن الكريم من المواضيع التي تجب معرفتها للمفسر حتى يعينه في تفسيره .
- 3- موضوع المبهمات يعين المفسر على الترجيح.

المبحث الأول

تعريف المبهمات لغة واصطلاحاً

المبهم في اللغة:

البَهْمُ: جَمْعُ بَهْمَةٍ، بِالضَّمِّ، وَهِيَ مُشْكَلَاتُ الْأُمُورِ. وَكَلَامٌ مُبْهَمٌ: لَا يَعْرِفُ لَهُ وَجْهٌ يُؤْتَى مِنْهُ، مَا أُخُوذُ مِنْ قَوْلِهِمْ حَائِطٌ مُبْهَمٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ بَاباً لِمُبْهَمَةِ الَّتِي لَا أَقْفَالَ عَلَيْهَا. يُقَالُ: أَمْرٌ مُبْهَمٌ إِذَا كَانَ مُلْتَبِساً لَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ وَلَا بَابُهُ⁽¹⁾. والإبهام بمعنى الخفاء أصل في اللغة، فالليل البهيم لخفاء ما فيه عن الرؤية، وكذلك يطلق على الطريق الخفي الذي لا يستبان، وعلى الصخرة التي لا خرق فيها⁽²⁾. وجاء تعريف المبهم في المفردات أيضاً: كل ما يصعب على الحاسة إدراكه إن كان محسوساً، وعلى الفهم إن كان معقولاً⁽³⁾.

إذن الإبهام في اللغة جاء بمعنى الخفاء واللبس وعدم التمييز: ولذلك يطلق على الدواب بهائم لعدم التمييز كما جاء في لسان العرب البهْمُ جَمْعُ بَهْمَةٍ وَهِيَ أَوْلَادُ الضَّأْنِ. وَالبَهْمَةُ: اسْمٌ لِلْمُدَكِّرِ وَالْمُؤَنَّثِ، وَالسِّخَالُ أَوْلَادُ الْمُعْرَى، فَإِذَا اجْتَمَعَ البِهَامُ وَالسِّخَالُ قُلْتَهُمَا جَمِيعاً بِهَامٍ وَبَهْمٍ أَيْضاً⁽⁴⁾.

(1) لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ) الخواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ 57/12.

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة 311/1 .

(3) المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ، ص 149.

(4) لسان العرب 57/12.

المبهم في الاصطلاح:

المبهمات : ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر مكان لم يسمه فيه باسمه العلم، من نبي أو وليّ أو غيرهما من آدمي، أو ملك، أو جني، أو بلد، أو كوكب، أو شجر، أو حيوان له اسم علم⁽¹⁾. والمراد به : الألفاظ المذكورة في القرآن الكريم على وجه الإشارة ، من غير تصريح بأسماء أعيانها ؛ لذلك كانت " الأسماء المبهمة عند النحويين أسماء الإشارات " (2).

فالأسماء المبهمة هي : أسماء الإشارة ، فإنه لا يتحدد معناها إلا بالمشار إليه، نحو: هذا رجل. والأسماء الموصولة، فإنه لا يتحدد معناها إلا بصلتها، وضمائر الغيبة، فإنه لا يتحدد معناها إلا بمرجعها، كقوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ [هود:42] .
والمبهم عند المحدثين : هو: ما لم يسم من رجال السند (3).

والمبهم عند الأصوليين : هو الذي لا يعقل معناه ولا يدرك مقصود الالفاظ ومبتغاه من قولهم أجهمت البئر إذا سدده ودرمته ومنه سمى الكمي: البهمة وهو المقنع المبرقع الذي لا يدري من هو (4).

وللإيهام في القرآن أسباب:

(1) التعريف والإعلام (ص ٠٨).

(2) انظر: عقود الجمال في علوم القرآن للدكتور/ على نصر (ص 246) ، والكليات للكفوي (ص 3) وعلوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص 156) المعجم الوسيط مادة [بهم] .

(3) الغرامية في مصطلح الحديث أبو العباس أحمد بن فرح الإشبيلي (٦٢٤ - ٦٩٩ هـ) شرح وتوثيق: مرزوق بن هياس الزهراني (الأستاذ المشارك بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) دار المآثر، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ص 93.

(4) البرهان في أصول الفقه ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت ٤٧٨ هـ) تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة (12) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م 153/1.

أحدهما: الاستغناء ببيانه مع مَوْضِعٍ آخَرَ كَقَوْلِهِ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 7], فَإِنَّهُ مُبَيَّنٌّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69].

الثَّانِي: أَنْ يَتَعَيَّنَ لِاشْتِهَارِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 35] وَلَمْ يَقُلْ: "حَوَاءَ" لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ غَيْرُهَا.

الثَّلَاثُ: فَصُدُّ السَّيْرُ عَلَيْهِ لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي اسْتِعْطَافِهِ نَحْوُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجْحِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: 204] هُوَ الْأَخْسَنُ بْنُ شَرِيْقٍ وَقَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ.

الرَّابِعُ: أَلَا يَكُونُ فِي تَعْيِينِهِ كَبِيرٌ فَائِدَةٌ نَحْوُ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ وَقَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ دَكَّنَا سُوَهَا الْحَمَامَ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 259]

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: 163]

الخَامِسُ: التَّنْبِيهُ عَلَى الْعُمُومِ وَأَنَّهُ غَيْرُ خَاصٍّ بِخِلَافِ مَا لَوْ عُيِّنَ نَحْوُ: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 100]

السَّادِسُ: تَعْظِيمُهُ بِالْوَصْفِ الْكَامِلِ دُونَ الْإِسْمِ نَحْوُ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 22]

[الزمر: 33] ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿٣٣﴾
﴿إِلَّا اتَّصَرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِمُجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ
[التوبة: 40] وَالْمُرَادُ الصِّدِّيقُ فِي الْكُلِّ حَكِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾

السَّابِعُ: تَحْقِيقُهُ بِالْوَصْفِ النَّاقِصِ نَحْوُ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 3] (1).

(1) الكتاب: الإتقان في علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م (٤٩١٣).

المبحث الثاني

الإبهام في كتب التفسير

ابتدأت العلوم الإسلامية بالقرآن، فالقرآن هو مصدر العلوم، وهو المنطلق الأول لنشأة العلوم الإسلامية التي تركزت حول دراسة القرآن وتوثيقه وحفظه وتفسيره وبيان إعجازه ومعرفة الناسخ والمنسوخ منه، والمحكم والمتشابه، والمبهم، والأحرف السبعة، والقراءات الثابتة الصحيحة ووجوه بلاغته وفصاحته، ودراسة مفرداته ومعانيه اعتنى المفسرون بموضوع المبهمات منذ وقت مبكر؛ لما فيه من الإعانة على فهم المراد من الآيات، وتحقيقاً لرغبة النفوس التي تتشوق لمعرفة كل غريب وغامض ومبهم .

والروايات الواردة في هذا الموضوع تبين اهتمام السلف بهذا النوع من علوم القرآن، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أردت أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمكثت سنة فلم أجد له موضعاً، حتى خرجت معه حاجاً، فلما كنا بالظهران؛ ذهب عمر لحاجته فقال: أدركني بوضوء، فأدركته بالإداوة، فجعلت أسكب عليه، ورأيت موضعاً، فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة (1). جاء في التعريف والأعلام بعد أن ذكر حديث ابن عباس: "فهذا أوضح دليل على اعتنائهم بهذا العلم ونفاسته عندهم (2)".

ولذلك اهتم العلماء بالمبهمات لما فيه من أهمية بالغه في التعرف على من قد خفي عن عامة الناس بل وخاصتهم كما ورد في الحديث السابق لذلك نجد المفسرون اهتموا بهذا العلم اهتماماً بالغاً حتى يكاد لا يخلو كتاب من كتب التفسير إلا وتناول

(1) رواه البخاري، 96/6 كتاب التفسير، باب (تبتغي مرضاة أزواجك)، رقم: (٤٩١٣).

(2) التعريف والإعلام للسهيلى ص ٥١.

هذا العلم بالتفصيل في كتابة نأخذ على سبيل المثال احد كتب التفسير بالمأثور للأمام ابن كثير.

وابن كثير هو: إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن زرع القيسي البصري ثم الشافعي⁽¹⁾. ولد ابن كثير في مجيدل القرية وتوفي والده وهو في الثالثة من عمره كما ذكر ذلك في كتابه البداية والنهاية فرعاه أخوه عبد الوهاب. وكانت أسرته علمية دينية فوالده فقيه وخطيب، وأخوه عالم وفقهه، وأولاده وأولاد أخوته كذلك، وتزوج ابنة شيخ المزي وأنجب منها أولاداً علماء⁽²⁾. نشأ ابن كثير في قريته ثم انتقل مع أخيه إلى دمشق، وتفرغ لطلب العلم فحفظ القرآن الكريم من صغره، ودرس الفقه وأصوله، وعلم الحديث واللغة العربية عن علماء دمشق وبرز في الفقه والحديث والتفسير والنحو وأخذ هذه العلوم عن مشايخ دمشق الأجلاء وغيرهم من البلدان الإسلامية. ذكر معظمهم في كتابه البداية والنهاية وترجم لهم. وتأثر بشيخ الإسلام ابن تيمية وأحبه حتى دفن بجواره، وأجاز بالرواية بعض علماء مصر وبغداد⁽³⁾. كان المجتمع في عصره يتألف من عناصر بشرية مختلفة منهم العرب والقبط والرومان والأتراك والجرس والأرمن وغيرهم وغالب السكان من المسلمين بينهم أقليات مسيحية ويهودية وكل هؤلاء ينضمون في اعتبار العصر تحت فئات متعددة،

(1) طبقات المفسرين - محمد علي الداودي ت: 940هـ. محمد علي عمر مكتبة وهبة، القاهرة، ط1 1972م. و أبناء الغمر بأبناء العمر - ابن حجر العسقلاني، تحقيق حسن حبشي، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة 1969م. وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن عماد الحنبلي ت: 1519هـ طبعة القدس/ القاهرة 1305هـ ج 231/6.

(2) الدرر الكامنة 399/1، شذرات الذهب 231/6، وابن كثير الدمشقي (ص 02).

(3) ابن كثير الدمشقي (ص 55) الدرر الكامنة 212/3، طبقات الشافعية أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر تقي الدين بن قاضي شعبة الدمشقي، ت: 101هـ د. تصحيح د. عبد العظيم خان، مؤسسة دار الندوة، بيروت 1991م، 237/2.

نشأ ابن كثير في مجتمع مكون من فئات: فئة تملك كل شيء، وأخرى معدومة، وفئة تتملق وأخرى تتقرب، مثل هذه التيارات المتضاربة تجعل من يتصدى لها مثل شيخنا الحافظ بن كثير. وانتشرت هذه المدارس في كثير من البلدان كالقاهرة والإسكندرية ودمشق وحلب وحمص والقدس، إضافة إلى المساجد والجوامع التي تقام فيها حلقات العلم ويفد إليها الطالب من جميع الجهات ومن أهمها جامع عمرو بن العاص والجامع الأزهر وجامع ابن طولون بمصر والجامع الأموي في دمشق⁽¹⁾.

منهج ابن كثير في كتابه قال الشيخ أحمد شاکر في مقدمة عمدة التفسير مجملاً منهج ابن كثير في تفسيره: (وقد حرص الحافظ ابن كثير على أن يفسر القرآن بالقرآن أولاً، ما وجد إلى ذلك سبيلاً، ثم بالسنة الصحيحة، التي هي بيان لكتاب الله، ثم يذكر كثير من أقوال السلف في تفسير الآية، وأنه ليذكر الأحاديث في أكثر من موضع بأسانيدھا من أقوال السلف في تفسير الآية، والسنة ومصادرها، وكثيراً ما يذكر تعليل الضعيف منها، ولكنه يحرص أشد الحرص على أن يذكر الأحاديث الصحاح وان ذكر معها الضعاف، فكتابه بجانب أنه تفسير للقرآن، معلم مرشد لطالب الحديث، يعرف به كيف ينقد الأسانيد والمتون، وكيف يميز الصحيح من غيره، فهو كتاب في هذا المعنى تعليمي عظيم، ونفعه جليل كثير، تفسير ابن كثير من أشهر الكتب التي دونت في التفسير بالمأثور، وهو من أجلها جمع فيه بين التفسير والتأويل والرواية والدراية، مع العناية الكاملة بذكر الأسانيد، وبيان صحيحها، من ضعيفها، من موضوعها، ونقد الرجال، والجرح والتعديل، واستيفاء الآيات في الموضوع الأول، وتفسير القرآن بالقرآن، مع حسن البيان، وعدم التعقيد، وعدم

(1) أنظر السلاطين الماليك ج3/90- مكتبة الآداب القاهرة 1974م. مقدمة تهذيب الكامل 12/11/1

للمزي، تحقيق: بشار عواد معروف..

التشعيب في المسائل ، والاستطراد الكثير ، قدم ابن كثير لتفسيره هذا مقدمة طويلة هامة. تعرض فيها لكثير من الأمور التي لها تعلق واتصال بالقرآن وتفسيره⁽¹⁾.

وله مؤلفات عديدة أهمها تفسير القرآن العظيم، نقف على بعض اختياراته للمبهمات وتفسيرها جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 9] جاء في تفسير ابن كثير امرأة فرعون هي (آسية بنت مزاحم)⁽²⁾، وافق ابن كثير من سبقه من الأئمة⁽³⁾. المفسرين في ذكر اسم امرأة فرعون ويكاد يكون هذا الاسم لامرأة فرعون قد اشتهرت به لذلك أورد المفسرون في تفاسيرهم { ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُم } [يوسف: 59] قال ابن كثير هو بنيامين شقيق يوسف عليه السلام⁽⁴⁾.

وأجمع معظم المفسرين على أخو يوسف المذكور في الآية: ﴿ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُم ﴾ يَعْنِي أَخَاهُ بِنْيَامِينَ وَهُوَ أَخُو يُوسُفَ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ (5).

وأيضاً المبهم في قوله تعالى: ﴿عَبْرَ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: عَبْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ هُمُ الْيَهُودُ وَلَا الضَّالِّينَ النَّصَارَى وَقَالَ صَاحِبُ النَّكْتِ وَالْعِيُونَ وهو قول جميع المفسرين⁽⁶⁾ وقد ذكر الإجماع على هذا التفسير: الشوكاني⁽⁷⁾. وغيره.

(1) مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص3.

(2) مختار تفسير ابن كثير المؤلف: (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت -

لبنان الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م 6/2.

(3) الطبري 33/10 ، والقرطبي 253/7.

(4) تفسير القرآن العظيم 322/13.

(5) القرطبي 193/13 و الطبري 244/13.

(6) تفسير الماوردي = النكت والعيون ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي،

الشهر بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية -

بيروت / لبنان 60/1.

(7) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن محمد الشوكاني المالكي من أهل شوكان إحدى قرى

وقد استدلووا على ذلك بجملة من الآيات المبينة أن أخص أوصاف اليهود الغضب ، كما في قوله تعالى **قَالَ تَعَالَى: ﴿بِسْمَا أَشْتَرُوا بِهِءَ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُزِيلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءٌ وَبَعْضٌ عَلَى عَضْبٍ وَلَا كَفِيرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾** [البقرة: 90].

وإن أخص أوصاف النصارى الضلال ، كما في قوله تعالى : **قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾** [المائدة : 77] ، وقد ورد في روح المعاني مؤيداً صاحبه الإجماع على تفسير المغضوب عليهم باليهود ، والضالين بالنصارى ، بقوله : (وهل بعد قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصادق الأمين قول لقائل ، أو قياس لقائس ، هيئات هيئات ، دون ذلك أهوال ..) والمبهمات التي وردت في القرآن الكريم كثيرة نكتفي بهذا القدر منها ⁽¹⁾.

خايران. كان من أهل الخير والصلاح، ووالده أبو طاهر كان من مشاهير المحدثين بخراسان. سمع أباه أبا طاهر، وأبا الفضل محمد بن أحمد ابن أبي الحسن العارف الميهني، والتجبر في المعجم الكبير ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت ٥٦٢هـ) تحقيق: منيرة ناجي سالم الناشر: رئاسة ديوان الأوقاف - بغداد الطبعة: الأولى، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م 75/2.

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ 99/1.

المبحث الثالث

الإبهام في كتب علوم القرآن

الكتاب الأول: البرهان في علوم القرآن للزركشي

لعل كتاب (البرهان في علوم القرآن) لبدر الدين الزركشي من أبرز كتب علوم القرآن وأجمعها.

ترجمة الزركشي مؤلف البرهان:

هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة 794 هـ بالقاهرة، أخذ العلم عن شيوخ عصره، وأبرزهم: الشيخ جمال الأسنوي والشيخ سراج الدين البلقيني، والحافظ ابن كثير، واستطاع أن يحظى بمكانة كبيرة في عصره، واشتهر أمره، وبانت أهليته وكفاءته، وتفرغ للتدريس والتأليف، وكان ملازماً لسوق الكتب، يسجل ويصنف، واشتهر بالزهد والورع والانصراف عن الدنيا، والرضى بالقليل من المال.

وكان شافعي المذهب، وله أكثر من ثلاثين كتاباً، في الأصول والقواعد والفروع والأحكام والعقيدة والأدب، وله كتب في التفسير والحديث، وقام بتخريج أحاديث بعض الكتب، منها تخريج أحاديث الشرح الكبير للرافعي، والتنقيح لألفاظ الجامع الصحيح، وكان كثير الاهتمام بعلم الأصول والفقه، وقام بتكملة شرح المنهاج للإمام النووي وشرح جمع الجوامع.

ويعتبر كتابه: «البرهان في علوم القرآن» من أهم كتبه، وأكثرها شهرة ومكانة، ويتألف من أربعة أجزاء، وقام الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم بتحقيقه.

منهج الزركشي في البرهان:

يتميز الزركشي بأسلوبه الرصين، وعبارته الواضحة وأمانته في النقل، وحسن اختياره للعبارات المنقولة، ودقته في الاستشهاد، وغالباً ما يذكر في كل علم ما صنف من مؤلفات، ثم يعرف بهذا العلم، بعبارات موجزة واضحة معبرة.

ويمكننا استنتاج معالم منهجه في التأليف من خلال تتبعنا لفصل من فصول كتابه، وهو علم المبهمات الذي يعتبر النوع السادس، وابتدأ هذا العلم بذكر من صنف فيه، وهو أبو القاسم السهيلي في كتابه المسمى بالتعريف والإعلام، وتلاه تلميذه ابن عساكر في كتابه المسمى بالتكميل والإتمام⁽¹⁾. ثم ذكر أسباب الإبهام⁽²⁾. ثم أعقب ذلك ببعض التنبيهات والتوضيحات⁽³⁾، معتمداً في ذلك على أدلة من القرآن الكريم، وفي مواطن كثيرة يستشهد بأقوال العلماء الذين كتبوا في الموضوع وصنفوا فيه، وينقل أقوالهم وكلامهم، وأحياناً يناقش تلك الأقوال مؤيداً لها أو معارضاً أو مرجحاً.

ويدل منهجه على ما يلي:

أولاً: تمكنه من مادته العلمية وسعة اطلاعه.

ثانياً: حسن استيعابه لما يكتب فيه، فلا يستطرد ولا يطيل.

ثالثاً: النقل الأمين، وينسب كل قول لقائله، وينقل عبارة العلماء مروية عنهم.

رابعاً: روعة أسلوبه، وسلامة عبارته.

وهذه الخصائص جعلت الزركشي حجة فيما يكتب، وجعلت كتاب البرهان من أبرز الكتب في علوم القرآن، ولا يستغني عنه باحث أو دارس، وقد تأثر به جلال الدين السيوطي في كتابه «الإتقان»، ونقل عنه الكثير من العبارات والنقول، ونستطيع

(1) البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن محمدر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه 3/1.

(2) انظر البرهان في علوم القرآن 155/1.

(3) البرهان في علوم القرآن 155/1.

أن نقول إن كتاب الإتقان هو مختصر لما في كتاب البرهان، وهو شديد الشبه به في أسلوبه ومنهجه» (1).

الكتاب الثاني الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:

يعتبر كتاب «الإتقان في علوم القرآن» للحافظ جلال الدين السيوطي من المراجع المعتمدة والهامة، ولا يمكن الاستغناء عنه لكل من يريد البحث في علوم القرآن، فهو كتاب جمع فيه السيوطي علوم القرآن، ونقل أقوال العلماء في كل علم من العلوم، وأشار إلى الكتب المصنفة في كل علم، واختار من كتب السابقين ما يتعلق بالموضوع من آراء وأقوال، وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم الذي قام بتحقيق كتاب البرهان للزركشي.

وقال المحقق في مقدمة كتاب الإتقان في معرض كلامه عن الحافظ السيوطي (2): "وكتابه الإتقان في علوم القرآن هو الحلقة الذهبية في سلسلة كتب الدراسات القرآنية، أحسنها تصنيفاً وتأليفاً، وأكثرها استيعاباً وشمولاً، جمع فيه من أشتات الفوائد، ومنتور المسائل ما لم يجتمع في كتاب".

السيوطي يعرف كتابه الإتقان:

ولد جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي سنة ثمانمائة وتسع وأربعين هـ، ونشأ يتيماً، وأخذ علمه عن كبار علماء عصره في مصر، من أمثال شيخه محيي الدين الكافيجي، وتنقل في عدد من البلاد الإسلامية، واشتهر بكثرة التأليف والتصنيف، وذكر له بروكلمان أربعمائة وخمسين مؤلفاً بين مطبوع ومخطوط، وأوصل

(1) المدخل إلى علوم القرآن الكريم محمد فاروق النبهان دار عالم القرآن - حلب الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ص6.

(2) الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م 7/1.

ابن إياس مؤلفاته إلى ستمائة مؤلف، ونظراً لكثرة مؤلفاته ولشهرته، فقد أتهمه منافسوه بالسطو على كتب المكتبة المحمودية، وادعاء بعض كتبها لنفسه، بعد إدخال بعض التعديلات عليها، وممن شارك في اتهامه السخاوي، إلا أن تلك التهم لا يمكن أن تقلل من مكانته العلمية وقدرته على التأليف، وهناك كتب عظيمة لا يمكن أن يشك في نسبتها إليه، وهي كافية للتدليل على موهبته وكفاءته وعلمه، واشتهر بالزهد والتقى والصلاح، وتوفي سنة 911 هـ بالقاهرة⁽¹⁾.

وشرح في مقدمة كتابه الإتيقان الأسباب التي دفعته لتأليف هذا الكتاب، وإنه أراد أن يضع كتاباً جامعاً شاملاً سماه «التحبير في علوم التفسير» وذكر أبواب هذا الكتاب في مقدمته، وهي أكثر من مائة باب، ثم خطر له أن يؤلف كتاباً مبسوطاً ومجموعاً مبسوطاً يسلك فيه طريق الإحصاء، ويمشي فيه على طريق الاستقصاء، وكان يظن أنه متفرد بذلك غير مسبوق بالخوض في هذه المسالك، وبينما هو يجيل في ذلك فكره، بلغه أن الإمام بدر الدين الزركشي ألف كتاباً في ذلك سماه «البرهان»⁽²⁾، وقال في وصف ذلك: ولما وقفت على هذا الكتاب ازددت به سروراً، وحمدت الله كثيراً، وقوي العزم على إبراز ما أضمرته، وشددت الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصده، فوضعت هذا الكتاب العلي الشأن، الجلي البرهان، الكثير الفوائد والإتيقان، ورتبت أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب البرهان، وأدجمت بعض الأنواع في بعض، وفصلت ما حقه أن يبان، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد، والقواعد والشوارد، ما يشغف الأذان، وسميته بالإتيقان في علوم القرآن، وسترى في كل نوع منه إن شاء الله تعالى ما يصلح أن يكون بالتصنيف مفرداً، وستروى من مناهله العذبة رياً لا ظمأ

(1) انظر الإتيقان ج 1، ص 9، مقدمة المحقق.

(2) انظر مقدمة السيوطي في كتابه الإتيقان، ج 1، ص 10.

بعده أبدأً، وقد جعلته مقدمة للتفسير الكبير الذي شرعت فيه، وسميته بمجمع البحرين ومطلع البدرين «الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية»⁽¹⁾.

فعلم المبهمات عده السيوطي في "الإتقان" العلم السبعين من أنواع علوم القرآن، وفي "التحبير" النوع المائة⁽²⁾، وقال (اعلم أن علم المبهمات مرجع النقل المحض لا مجال للرأي فيه ولما كانت الكتب المؤلفة فيه وسائر التفاسير يذكر فيها أسماء المبهمات والخلاف فيها دون بيان مستند يرجع إليه أو عزو يعتمد عليه ألفت الكتاب الذي ألفتُه مذكوراً فيه عزو كل قول إلى قائله من الصحابة والتابعين وغيرهم معزواً إلى أصحاب الكتب الذين خرجوا ذلك بأسانيدهم مبيناً فيه ما صحَّ سنده وما ضعف فجاء لذلك كتاباً خافلاً لا نظير له في نوعه وقد رتبته على ترتيب القرآن وأنا لخص هنا مبهما تهب أوجز عبارة⁽³⁾.

الكتاب الثالث : الزيادة والإحسان

قال صاحب الكتاب في مقدمته (فيقول الفقير إلى مولاه، محمد بن أحمد بن سعيد المعروف بعقيلة، كان الله له: إن من أحسن العلوم وأفضلها، وأنفعها علوم القرآن، وما يشمل عليه من نفائس البيان.

وقد ألف بعض الأئمة الأعلام، كتباً في هذا المعنى، وأحسنها كتاب "الإتقان" للحافظ الكبير، والعالم الشهير، رئيس المتأخرين، الشيخ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، قدس الله روحه، وأدام فتوحه، فهو كتاب نفيس شريف، وتأليف عزيز لطيف، قل أن ينسج أحد على منواله، أو يحذو على مثاله، جمع فيه من علوم القرآن ما لم يسبق إلى جمعه، ووضع فيه من الفوائد ما يعجز عن وضعه، فهو كتاب غريب

(1) انظر مقدمة الإتقان للسيوطي، ج 1، ص 14.

(2) الإتقان للسيوطي 93/4.

(3) الإتقان للسيوطي 96-95/4.

وحيد، وجوهر ثمين فريد، كان الله لمؤلفه، ونفع به في الآخرة، وحشره في زمرة أهل المقامات الفاخرة، أمين.

قال في خطبة هذا الكتاب: "ولقد كنت في زمن الطلب أتعجب من المتقدمين، إذ لم يدونوا كتاباً في أنواع علوم القرآن، كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث"،⁽¹⁾ ثم نقل خطبة هذا الكتاب في الإتقان وقال بعده: هذا آخر ما ذكره القاضي جلال الدين في الخطبة، ثم تكلم في كل نوع منها بكلام مختصر يحتاج إلى تحرير، وتتمت وزوائد مهمات. وقال: "فصنفت في ذلك كتاباً سميته: التعبير في علوم التفسير ضمنته ما ذكر البُلقيني من الأنواع مع زيادة مثلها، وأضفت إليها فوائد سمحت القريجة بنقلها". ونقل خطبة هذا الكتاب أيضاً إلى آخرها، ثم قال بعد نقل الخطبة: ثم خطر لي بعد ذلك أن أؤلف كتاباً مبسوطاً، ومجموعاً مضبوطاً، أسلك فيه طريق الإحصاء، وأمشي فيه على منهج الاستقصاء، هذا كله وأنا أظن أني منفرد بذلك، غير مسبوق بالخوض في هذه المسالك، فبينما أنا أجيل في ذلك فكراً، أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، إذ بلغني أن للشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، أحد أصحابنا الشافعيين، كتب كتاباً في ذلك حافلاً، يسمى "البرهان في علوم القرآن"، فطلبته حتى وقفت عليه، فوجدته قال في خطبته ...). ونقل خطبته إلى آخرها أيضاً، ثم قال: ولما وقفت على هذا الكتاب، ازدادت به سروراً، وحمدت الله كثيراً، وقوي العزم على إبراز ما أضمته، وشددت الجزم في إنشاء التصنيف الذي قصدته، فوضعت هذا الكتاب العلي الشأن، الجلي البرهان، { الكثير الفوائد والإتقان، وترتبت

(1) الزيادة والإحسان في علوم القرآن، محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (ت ١١٥٠ هـ) المحقق: أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير للأساتذة الباحثين: (محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصالح عبد الكريم السامدي، خالد عبد الكريم اللاحم). الناشر: مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ 84/1.

أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب البرهان }، وأدجت بعض الأنواع في بعض، وفصلت ما حقه أن يُيان، وزدت على ما فيه من الفوائد } والفرائد }، والقواعد والشوارد، ما يشنف الآذان، وسميته بـ "الإتقان في علوم القرآن".

وسترى في كل نوع منه - إن شاء الله تعالى - ما يصلح أن يكون بالتصنيف مفرداً، وسترى من مناهله العذبة رياً لا ظماً بعده أبداً، وقد جعلته مقدمة للتفسير الكبير الذي شعرت فيه، وسميته بـ "مجمع البحرين، ومطلع البدرين، الجامع لتحرير الرواية وتقدير الدراية" ثم ذكر فهرسة الكتاب وقام بتقسيم الكتاب إلى الرابع والخمسون بعد المائة⁽¹⁾ وصنف في كتابه علم المبهمات في النوع الرابع والثلاثون بعد المائة ثم قال (علم مبهمات القرآن افردته بالتأليف السهيلي وكتابه حسن، وابن عساكر، والقاضي بدر الدين ابن جماعة. قال الحافظ: ولي فيه تأليف لطيف جمع فوائد الكتب المذكورة مع زوائد أخرى على صغر حجمه جداً. وقال بعد ذلك أعلم أن علم المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأي فيه، ولما كانت الكتب المؤلفة فيه وسائر التفاسير كثر فيها أسماء المبهمات، والخلاف فيها دون بيان [سديد] مستند يرجع إليه أو عرف يعتمد عليه؛ ألفت [الكتاب] الذي ألقته مذكوراً فيه عزو كل قول إلى قائله من الصحابة والتابعين، وغيرهم معزواً إلى أصحاب الكتب الذين خرجوا ذلك بأسانيدهم، مبيناً فيه ما صح سنده وما ضعف، فجاء لذلك كتاباً حافلاً لا نظير له في نوعه، وقد رتبته على ترتيب القرآن⁽²⁾).

(1) انظر الزيادة والإحسان 87/1 وما بعدها.

(2) انظر : بغية الوعاة للسيوطي (81/2) وفيات الأعيان (144/3) كشف الظنون (1583/2)

الأعلام (132/3) الزيادة والإحسان 104/7-105.

المبحث الرابع

كتب الإبهام المفردة

أفرد هذا العلم بالتصنيف جماعة من العلماء ، أولهم : الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت:581هـ) في كتاب سماه : (التعريف والإعلام لما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام) (1).

ولم يتناول الإمام السهيلي في كتابه جميع مبهمات سور القرآن، بل أغفل مبهمات ويوضح السهيلي في مقدمة هذا الكتاب قصده من هذا التصنيف قائلاً: "قصدت أن أذكر في هذا المختصر الوجيز، ما تضمنه كتاب الله العزيز، من ذكر من لم يُسمِّفِه باسمه العلم من نبي، أو ولي، أو غيرها من آدمي، أو ملك أو جني، أو بلد، أو شجر أو كوكب، أو حيوان له اسم علم قد عرف عند نقلة الأخبار، والعلماء والأخبار (2).

وفي آخر الكتاب يقوم بتوضيح كيفية تناوله لهذا الموضوع، ومنهجه قائلاً: " كان إملائي لهذا الكتاب على سائل سألني عن هذه الأسماء المبهمة في القرآن إملاءً مما حفظته قديماً وحديثاً، مطالعةً ودرساً في كتب التفسير، والأخبار، ومسندات الحديث في الآثار، فمنه ما حفظت لفظه فأوردته كما حفظته ومنه ما اختلف فيه ألفاظ الرواة فلم أتبع جميعها، ولكي ليخصت المعنى متحريراً، وللصواب في الأنحاء متوخياً، وأضربت عن الأسانيد لما رويته من ذلك مختصراً إذ كان الكتاب جواباً لسائل، وعجالة لمستفهم، ولكي أحلت في أكثره على المواضع التي منها أخذت، والدواوين التي طالعت، وكذلك ما أوردت فيه من الأنساب فهو موجود أيضاً في

(1) التعريف والأعلام: 16.

(2) التعريف والإعلام: 189, 190.

كتب السير وأنساب العرب، مشهورة عند أهل الأدب، فلم يحتج إلى الاستشهاد على ما ذكرته بأكثر مما أوردته وأحلت عليه" (1).

وأما منهجه في تناول الآيات والألفاظ المبهمة، فيبدأ السورة بقوله: "فمن سورة

الحمد، ومن سورة البقرة" قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هم الذين ذكرهم الله في

سورة النساء حين قال: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

الآية. وَالصَّالِحِينَ﴾

وبعض الأحيان يستطرد في الكلام، ويخرج عن صلب الآية أو الكلمة المبهمة. ومن المفيد ذكره أن السهيلي قام بالتعريف والإعلام عن الألفاظ المبهمة في خمسة وثمانين سورة، وهذا يعني أن باقي السور لا تحتوي على ألفاظ مبهمة من وجهة نظره وهي: العنكبوت، وفاطر، والشورى، والحجرات، والذاريات، والحديد، والتغابن، والطلاق، والملك، والإنسان، والمرسلات، والنبأ، والنازعات، والمطففين، والإنشقاق، والأعلى، والغاشية، والضحى، والشرح، والقدر، والبينة، والزلزلة، والعاديات، والقارعة، والتكاثر، والعصر، والنصر، والإخلاص، والناس.

هذا هو منهج السهيلي في كتابه التعريف والإعلام فيما أجم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم. وقد ذيل على كتابه هذا تلميذه محمد بن علي بن الخضر المالقي، ويعرف بابن عسكر (ت: 636هـ) بكتابه المسمى: (التكميل والإتمام لكتاب التعريف والأعلام).

وكما يدل العنوان فابن عسكر اعتمد بالدرجة الأولى على السهيلي، حيث ادعى التكميل والإتمام لكتاب شيخ شيوخه التعريف والإعلام، ثم أضاف إليه ما جمعه من كتب الحديث، والتفسير، والتاريخ، والنحو، والبلاغة، والمعارف العامة، والسير.

(1) التكميل والإتمام محمد بن علي الغساني تحقيق حسن إسماعيل مروة دار الفكر بيروت ط 1 1997 ص34 وما بعدها.

وقد ذكر ابن عسكر في مقدمة كتابه الهدف من تصنيفه وهو : إتمام الفائدة بذكر المبهم الذي لم يذكره السهيل بل إن ابن عسكر ألمح إلى إبداع شيخ شيوخه لهذا الفن قائلاً: "وقد أبداع في التصنيف في هذا الغرض, وبإدرا إلى أداء هذا المفترض, شيخ شيوخنا, وأستاذ أستاذينا, ومعلم معلمينا, العالم الأجل, والإمام الأكمل, أبو زيد, عبد الرحمن بن أبي الحسن السهيلي . رضوان الله عليه . " (1) ويوضح ابن عسكر دوافعه, ومنهجه في تصنيف كتابه قائلاً: "فإنه جمع في كتابه المسمى بـ "كتاب التعريف والإعلام بما أجهم في القرآن من الأسماء والأعلام" فهو وإن كان ضئيلاً حجمه, فقد أشرق في الإبداع نجمه, وإي لم أزل منذ رأيت مبناه, وفهمت مقصده الشريف ومنحاه, ارتشفت من حياضه, واقتطفت من أزاهير رياضه, وكلما طالعت غيره من كتب التفاسير والأخبار أو لاحظت سواه من تصانيف العلماء والأخبار, فيقع إلي اسم قد أجهم في الكتاب العزيز لفظه, واشتهر عند علماء الإسلام نقله وحفظه, وأجد الشيخ . رضي الله عنه . قد أفله, ولم يحلّ مقفله, ألحقته من كتابه في الطّور, وأضفت جوهره إلى تلك الدّرر, حرصاً على أن تعظم الفائدة لمن استفاد, وتبقى الفائدة بعد النفاذ. حتى اجتمع منها بحمد الله تعالى جملة وافرة, ولاحت على وجه المقصد سافرة, فاستخرت الله تعالى, واستعنته على أن أجمعها في كتاب, يكون لكتاب الشيخ . رضي الله . تكملة, وتضحى به الفائدة مشتملة, وأبرأ في ذلك من تعاطي المعارضة, أو بعسف المناقضة, وكيف؟ وكل ما استفدته من شيوخي . رضي الله عنهم . الذين أعتد عليهم, وأسند ما أورده إليهم, إنّما هو قطرة من بحر الزّآخر, ومعدود فيما له من الفضائل والمفاخر" (2).

(1) التكميل والإتمام: 34.

(2) التكميل والإتمام: 35.

فهو لم يكن يتعقب شيخ شيوخه، بل كامل من وجهة نظره ما انتهى عليه بأدب جم، مقتضياً أثره في منهجه وطريقة عرضه.

فهو مثل شيخه يتناول الآيات والألفاظ المبهمة، يبدأ باسم السورة ذاكراً عدد مواضع الإبهام فيها، ثم يسردها مفصلة أولاً بأول، فيقول: الآية الأولى، قوله تعالى: ﴿...﴾ وهكذا إلى أن يأتي على ما في السورة، ثم يعود لينبّه على المواطن التي ذكرها الشيخ - رحمه الله - وما قاله فيها، ثم يبسط القول فيما استدركه عليه من أقوال العلماء. فيقول مثلاً: تنبيه: ذكر الشيخ - رحمه الله - عند قوله تعالى: ﴿...﴾ كذا. ثم يعقب بقوله: "قال المؤلف - رحمه الله - ، أو: قال: -ح-".

وهو أيضاً يتبع منهج السهيلي في ذكر الأقوال من غير إسناد وفي ذلك يقول: "واقتصرت على ذكر الأقوال في الأكثر، من غير إسناد، جرياً على مذهب الشيخ في كتابه"⁽¹⁾.

وابن عسكر أيضاً يستطرد بعض الأحيان، ويخرج عن صلب الآية أو اللفظ المبهم بعيداً جداً، بل إنه يسهب في الكلام أكثر من شيخ شيوخه.

وهو أيضاً لم يتناول في مبهمات كل سور القرآن، بل قام ببيان مبهمات 99 سورة، وهذا يعني أن باقي السور لا يحتوي على ألفاظ مبهمة من وجهة نظره وهي: الغاشية، والبلد، والشمس، والليل، والشرح، والبينة، والزلزلة، والعاديات، والقارعة، والعصر، والفيل، وقريش، والمسد، والإخلاص، والفلق.

وكتب القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم المعروف بابن جماعة (ت: 733هـ) في المبهمات كتابة استقلالية مطولة جاءت تحت عنوان: (التبيان في مبهمات القرآن) . وهو مفقود ، ثم اختصره في كتاب سماه: (غُرر التبيان في من لم يسم في القرآن) ،

(1) التكميل والإتمام: 486.

وقد أوضح ذلك في مقدمة "غرر التبيان"، وهو مطبوع⁽¹⁾ وهو الكتاب الثاني لابن جماعة جاء في مقدمة "غرر التبيان": "هذا كتاب اختصرت فحواه من كتاب سبق لي في معناه أذكر فيه. إن شاء الله تعالى. اسم من ذكر في القرآن العظيم بصفته، أو لقبه، أو كنيته، و أنساب المشهورين من الأنبياء والمرسلين، والملوك المذكورين، والمعني بالناس، والمؤمنين، إذا ورد لقوم مخصوصين، وعدد ما أجم عدد، وأمد ما لم يبين أمد، وذكرت ما وقع فيه من الاختلاف، وقدمت المختار من مواقع الخلاف، واقتصرت فيه على ذكر الأسماء دون تفاصيل القصص والأنباء، ورتبته على ترتيب سور القرآن، وسميته "غرر التبيان لمبهمات القرآن" وما تكرر من ذلك ذكرته في أول موضع ذكره، أو في أولى المواضع به"⁽²⁾.

ابن جماعة هو شيخ الإسلام، إمام المسلمين، قاضي القضاة، بدر الدين، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر بن عبد الله، الكناني نسباً، الحموي مولداً، الشافعي مذهباً⁽³⁾، ولد ليلة السبت رابع ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستمائة (639هـ) الموافق لسنة ألف ومائتين وإحدى وأربعين (1241م) في مدينة حماة، موطن آبائه، وعائلته الكنانية⁽⁴⁾.

(1) انظر: أخبار التراث العربي (24/7) و "معجم مصنفات القرآن" للشواخ (189/4).

(2) مخطوط غرر التبيان، نسخة المؤلف ص 2.

(3) انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 280/2. والبداية والنهاية: 14 / 206، 205. وشذرات الذهب: 106، 105/6. وطبقات الشافعية الكبرى: 139/9. وذبول العبر: 96/4. والأعلام: 5 / 297، 298. ومعجم المحدثين: 209/1. والدرر الكامنة: 4/5.

(4) انظر: البداية والنهاية: 14 / 205. وشذرات الذهب: 105/6. ومعجم المحدثين: 209/1.

كتاب صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل، للإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأوسي البلسني، ثم الغرناطي (782.714هـ).

عالم بالعربية، أندلسي. من أهل غرناطة، اشتهر بالانتساب إلى بلنسية. حصلت له محنة مع السلطان ثم صفح عنه. له كتب، منها (صلة الجمع وعائد التذييل - خ) في الأزهر، جمع فيه بين كتاب (التعريف والإعلام) للسهيلى وكتاب (التكميل والإتمام) لمحمد بن علي الغساني، في ما أجهم في القرآن من الأسماء والأعلام، أنجزه سنة 759 وكما هو معروف عن عنوان الكتاب، فالبلنسي جمع بين كتابي السهيلى، وابن عسكر،⁽¹⁾ وهو يصرح بهذا في مقدمة كتابه ويبين منهجه، وطريقته في الجمع بين كتابيهما قائلاً: "فجعلت علامة "سه" هكذا للشيخ العلامة أبي زيد السهيلى. وعلامة "عس" هكذا للأستاذ أبي عبد الله ابن عسكر. وجميع ما زدته عليهما مكماً، ومزياً، واستدركته متخيراً، ومتنخلاً جعلت عليه علامة "سي" تنبيهاً على أن استطلاعي أحقه، وبجثي حقه .

فعلامه (عط) للقاضي أبي محمد ابن عطية⁽²⁾ ، وعلامة (مخ) للأمام الزمخشري⁽³⁾ فمن كتابيهما أكثر ما وضعته، ومن فوائدهما جل ما جمعته".

(1) الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) ، دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م 286/6 .

(2) ابن عطية الإمام، العلامة، شيخ المفسرين، أبو محمد عبد الحق ابن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية الميخاري، الغرناطي مؤلده: سنة ثمانين وأربع مائة وكان إماماً في الفقه، وفي التفسير توفى: بحسن لورقة، في الخامس والعشرين من شهر رمضان، سنة إحدى وأربعين وخمسة مائة سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م 587/19 .

(3) الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان؛ كان إمام عصره من غير ما دفع، تشد إليه الرحال في فنونه. ، وصنف

"ولما كان ذاك الكتابان موصولاً أحدهما بالآخر لاتفاقهما على المعنى الذي تسامى في البيان بالمبهمات وتظاهر، جاء كتابي هذا جمعاً بينهما كالصلة لهذا الموصول، وعائده ما ضمّنته من التذييل المتصل به لا المفصول. ولهذا الاعتبار اقتضى داعي الاختيار أن أسميه لأعليه في مراتب المعرفة به، وأسمّيه كتاب "صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل" (1).

وهو أيضاً لم يتناول جميع سور القرآن، بل قام بتفسير مبهمات 108 سورة. كتاب مفحّمات الأقران في مبهمات القرآن، للحافظ هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي، المسند المحقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة. ولد في رجب سنة 849 هـ وتوفي والده من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر، وأسند وصايته إلى جماعة، وختم القرآن وله من العمر ثمان سنين، وحفظ كثيرا من المتنون، وأخذ عن شيوخ كثيرين، عددهم تلميذه الداودي فبلغ بهم واحدا وخمسين، كما عد مؤلفاته فبلغ بها ما يزيد على الخمس مائة مؤلف وشهرة مؤلفاته تغني عن ذكرها، فقد اشتهر شرقا وغربا ورزقت قبول الناس. وكان السيوطي آية في سرعة التأليف توفى 911 هـ (2).

التصانيف البديعة: منها "الكشاف" في تفسير القرآن العزيز، لم يصنف قبله مثله و "الحجاجة بالمسائل النحوية" و "المفرد والمركب" في العربية و "الفائق" في تفسير الحديث، و "أساس البلاغة" في اللغة، و "ربيع الأبرار وفصوص الأحبار" و "متشابه أسامي الرواة" و "النصائح الكبار" و "النصائح الصغار" و "ضالة وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان"، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681 هـ) تحقيق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت 5/ 168.

(1) صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل، أبي عبد الله محمد بن علي البلنسي المتوفى 782 تحقيق محمد عثمان دار الكتاب العلمية 1971 بيروت لبنان 30/1-31.

(2) انظر ذيل [طبقات الحفاظ للذهبي]، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية المقدمة 223 والمنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره

يقول السيوطي مبينا منهجه في مقدمته: (فإن من علوم القرآن التي يجب الاعتناء بها معرفة مبهمات، وقد هتف ابن عسكر بكتابه المسمى ب (التكميل والإتمام) . وجمع القاضي بدر الدين ابن جماعة بينهما في كتاب سماه (التيبان في مبهمات القرآن) . وهذا كتاب يفوق الكتب الثلاثة بما حوى من الفوائد والزوائد، وحسن الإيجاز، وعزو كل القول إلى من قاله، مخرجاً من كتب الحديث والتفاسير المسندة، فإن ذلك أدمى لقبوله وأقع في النفس. فإن لم أقف عليه مسنداً عزوته إلى قائله من المفسرين والعلماء، وقد سميته (مفحمت الأقران في مبهمات القرآن)¹ الإمام السيوطي أيضاً لم يتناول جميع سور القرآن، بل قام بتفسير مبهمات 91 سورة، والتي لم يقف عليها هي الجاثية، والطور، والصف، والتغابن، والطلاق، والملك، والمزمل، والإنفطار، والمطففين، والإنشقاق، والأعلى، والغاشية، والضحي، والشرح، والبينة، والزلزلة، والعاديات، والقارعة، والتكاثر، والعصر، والماعون، والنصر، والإخلاص.

الدكتور محمد علي الحسن، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة قدم له: الدكتور محمد عجاج الخطيب (رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة) ، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ص 282.

(1) مفحمت الأقران في مبهمات القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا: مؤسسة علوم القرآن، دمشق - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م ص 7.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث الذي تناولت فيه علم المبهمات من حيث تعريفه ومدى عناية السلف به وأهم الكتب فيه. أقول إنَّ المبهمات التي وردت في القرآن الكريم قد استأثر الله بعلمها ولهذا على المسلم أن يتوقف عندها، ولا يتعسف في الوصول لأسماء أشخاص ولا لمجموع من وردوا في الذكر الحكيم من طائفة أو غيرها و عدم الخوض فيه.

النتائج :

1- أن علم المبهمات علم قديم نشأ من عهد الصحابة رضوان الله عليه .
2- المبهمات في القرآن الكريم فرع من علوم القرآن تقدم السهيلي من بحثوا فيه.

3- أن مرجع معرفة المبهم النقل المحصن ولا مجال للاجتهاد فيه.
4- أن لمعرفة المبهم مصادر يرجع إليها مثل كتب التفسير بالمأثور ، وكتب الصحاح والسنن، وكتب أسباب النزول وكتب المبهمات .

التوصيات :

لي وصية واحدة : يجب تنقية كتب التفسير من الإسرائيليات والابتعاد قدر الإمكان عن الروايات الإسرائيلية مما لم نعلم صدقة ولا كذبة لعدم ورود ما يؤيده أو ينفيه من شرعنا.